الغيرة
بين الشرع والواقع

إبراهيم بن محمد الحقيل

مصدر هذه المادة :





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإن من أخلاق العرب السامية : خلق الغيرة : هـــذا الخلق كان العرب في جاهليتهم يعرفون به ، وقد أفرطوا فيه وغالوا وتشددوا ، وتجاوزوا حده المشروع، حتى وصل بهم إلى وأد بنـــاتهم خشية العار.

جاء الإسلام فأقر أصل الغيرة ، لكنه هذبها وعَدَّلَها؛ لتكون بين الإفراط والتفريط ، وبين الغلو والتقصير.

وقلةُ الغيرة من قلة الإيمان ؛ لأن المؤمنَ يَغَارُ ؛ يَغَارُ لنفســـه إذا شورك في شيء يختص به ، ويغار لله تعالى إذا انتهكت محـــارم الله تعالى ، أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قـــال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يغار ، وإن المؤمن يغار ، وغـــيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه**». [رواه البخاري: ٥٢٢٣، ومســـلم ٢٧٦١] ، وفي الصحيحين واللفظ لمسلم من حديث ابن مســـعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أحـــبَّ إليـــه المدح من الله عز وجل، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحـــد أغير من الله، من أجل ذلك حَرَّمَ الفواحش، وليس أحدٌ أحـــبَّ إليه العذر من الله، من أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل**». [رواه البخاري: ٥٢٢٠ ومسلم: ٢٧٦٠].

*المؤمن غيور: من صفات المؤمنين أنهم غيورون؛ يغارون على حرمات الله تعالى أن تنتهك، ويغارون على محارمهم وما يخصـــهم، ورسول الله ﷺ أشد الناس غيرة، ثم صحابته من بعـــده رضـــي الله عنهم وأرضاهم.

وعند مسلم (١٤٩٨) من حديث أبي هريرة رضـــي الله عنـــه قال: قال سعد بن عبادة: «يا رسول الله ، لو وجدت مـــع أهلـــي رجلاً لم أمسه حتى آتي بأربعة شـــهداء». قـــال رســـول الله ﷺ: «**نعم**». قال: «كلا ، والذي بعثك بـــالحق إن كنـــت لأعاجلـــه بالسيف قبل ذلك». قال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا إلى مـــا يقـــول سيدكم ، إنه لغيور ، وإني لأغير منه ، والله أغير مني**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «وبَيَّنَ النبيُّ ﷺ أنه أغير من غيرة المؤمن ، وأن المؤمن يغار، والله يحب الغيرة، وذلك في الريبة، ومن لا يغار فهو ديوث». وقد جاء في الحديث: «**لا يدخل الجنة ديوث**». [رواه أحمد: ١٢٨/٢]؛ فالغيرة المحبوبة هـــي مـــا وافقت غيرة الله تعالى ، وهذه الغيرة هي أن تنتـــهك محـــارم الله ، وهي أن تؤتى الفواحش الباطنةُ والظاهرة .

لكن غيرة العبد الخاصة هي من أن يشركه الغـــير في أهلـــه؛ فغيرته عن فاحشة أهله ليست كغيرته من زنا الغير؛ لأن هـــذا مـــا يتعلق به، وذاك لا يتعلق إلا من جهة بغضه لمبغضة الله، ولهذا كانت الغيرة الواجبة عليه هي من غيرته على أهله، وأعظم ذلك امرأته ثم أقاربه، ومن هو تحت طاعته، ولهذا كان له إذا زنت أن يلاعنها؛ لما

عليه في ذلك من الضرر؛ بخلاف مـــا إذا زنـــا غـــير امرأتـــه ». [الاستقامة ٢/٧].

***أقسام الناس في الغيرة:** قَسَّمَ شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بني آدم في الغيرة إلى أربعة أقسام:

١- قومٌ لا يغارون على حرمات الله بحال ولا عن حُرُمِهـــا ، مثل الديوث ، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون مـــا حـــرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق ، ومنهم من يجعل ذلك ديناً وطريقاً: ﴿**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَـــا تَعْلَمُـــونَ**﴾. [الاعراف: ٢٨].

٢- وقوم يغارون على ما حَرَّمَه الله وعلى ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره ، يجعلون ذلك غيرة ؛ فيكره أحدهم من غـــيره أموراً يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلـــك طريقـــاً ودينـــاً، ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورســـوله غيرة.

٣- وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه، فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها؛ بـــل يبغضـــون الصـــلوات والعبادات؛ كما قال تعالى: ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَـــاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾. [مريم: ٥٩].

٤- وقوم يغارون مما يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله، هؤلاء هم أهل الإيمان. ا هـــ كلامه رحمه الله تعالى. [الاستقامة ٢/٩ -١٠].

****ما ينقص الغيرة**: الذنوب والمعاصي سـببب لـنقص الغـيرة واضمحلالها وذهابها؛ ولذا فإن أكثر الناس غيرة أتقاهم لله تعـالى، وتنقص الغيرة من قلب العبد بقدر نقص تقواه.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه؛ كـالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن؛ فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث والصفات المذمومة كما يخرج الكير خبث الذهب والفضـة والحديد.

وأشرف الناس وأجدهم وأعلاهم همة أشدهم غيرة على نفسه وخاصّته وعموم الناس، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم أغـير الخلق على الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه ...

إلى أن قال: فإن كثيراً ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدةُ الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار، ومن غير قبـول العذر ممن اعتذر إليه؛ بل يكون له في نفس الأمر عذر، ولا تدعـه شدة الغيرة أن يقبل عذره.

وكثير ممن يقبل المعاذير، ويرى عذراً ما ليس بعـذر، حـتى يعتذر كثير منهم – يعني على معاصيهم – بالقَدَرِ، وكل منهما غير ممدوح على الإطلاق.. وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر؛ فيغار في محل الغيرة، ويعذر في موضع العذر، ومن كان هكذا فهو الممدوح حقاً». [الداء والدواء: ١٠٨].

وقال أيضاً: «والمقصود أنه كلما اشتدت ملابسـته للـذنوب

أخرجت من قلبه الغيرة على نفسه وأهله وعمـــوم النـــاس، وقـــد تضعف في القلب جداً حتى لا يستقبح بعد ذلك القبـــيح؛ لا مـــن نفسه ولا من غيره، وإذا وصل إلى هذا الحد فقد دخـــل في بـــاب الهلاك، وكثير من هؤلاء، ولا يقتصر على عدم الاســـتقباح؛ بـــل يُحَسِّنُ الفواحش والظلم لغيره ، ويزينه له ، ويدعوه إليه ، ويحثـــه عليه ، ويسعى له في تحصيله ، ولهذا كان الديوث أخبث خلق الله ، والجنة حرام عليه ، وكذلك محلل الظلم والبغي لغيره ومزيِّنه لـــه ؛ فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة ، وهذا يدلك على أن أصـــل الدين الغيرة ، ومن لا غيرة له لا دين له ؛ فالغيرة تحمي القلـــب ؛ فتحمي له الجوارح ؛ فتدفع السوء والفواحش ، وعدم الغيرة يميت القلب فتموت الجوارح ، فلا يبقى عندها دفع البتة. ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه ، فإذا ذهبت القوة وَجَدَ الداءُ المحلَّ قابلًا ، ولم يجد دافعًا ، فتمكن فكان الهـــلاك». [الـــداء والدواء: ١١٠].

***منافع الغيرة وأهميتها**: الغيرة الموزونة بميزان الشـــرع ســـبب للخير ، وهي تدفع الشر، وتقمع أهل الريب والفساد ؛ غضب أبو بكر رضي الله عنه لما ارتد المرتدون، ومنع الزكاة المانعون .. غضب رضي الله تعالى عنه وقال لعمر لما حاول تهدئته : «يا عمر: أجبـــار في الجاهلية خوار في الإسلام؟!» وانطلقت قولته المشـــهورة الـــتي أصبحت نبراسًا يستضاء به: «والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونـــه لرسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه». [رواه البخاري: ٧٢٨٤ ، ومسلم: ٢]، قال ذلك غيرة لله تعالى، وقاتل أهل الـــردة، فـــأعز الله بـــه

الإسلام.

وهكذا يكون أبو بكر رضي الله عنه أنموذجاً صالحاً وأسـوة حسنة لكل عبد غيور على دين الله تعالى ، قوي في الحـق ، آمـر بالمعروف ، ناه عن المنكر ، لا كحال كثير من الناس الذين يـرون حرمات الله تعالى تنتهك جهاراً نهاراً فلا يغارون لله تعالى ، ولكـن كيف يغارون إذا كان في الناس من تنتهك حرماته ولا يغار!! نعوذ بالله من ذلك .

إن حدود الرجم والجلد والتغريب في الزنا مـا شـرعت إلا محافظة على الأعراض أن تنتهك، وإن آداب الاستئذان ، وكيفيـة الدخول على البيوت والمحارم ، ومنع النظر إلى الأجنبيات ما جـاء إلا حفاظاً على الأعراض ، وإن جلد القاذف ما شرِّع إلا حفظـاً للنساء الطاهرات العفيفات من أن تقع فـيهن الألسـن الجارحـة العاصية، واللعان بين الزوجين ما شُرِّعَ إلا ليضبط غيرة الرجل على أهله؛ فلا تتعدى حدود غير الريبة.

ما شُرِّعَ ذلك كله إلا لمكانة الأعراض وأهميتـها في ديـن الله تعالى، ولكن ما حال الناس أمام هذه الحرمة العظيمة؟ وما مقـدار الغيرة في ظل بث الفضائيات الخبيثة التي تنشر الفساد والإباحيـة ، وفي ظل المجلات الخليعة التي تسهل طرق الفاحشة؟ ما حال مراهق أو مراهقة يخلو كل واحد منهما في غرفته ، تنتقل عينه من فضائية إلى أخرى! فبالله العظيم وبعيداً عن المزايدة في الكلام ، والتسويغات السامجة ، والأعذار الواهية ، ماذا سيكون جواب صاحب البيـت

الآمن حينما جلب النار والعار ووضعهما في أيدي أبنائه وبناته؟

ليس حديثي هذا للمنافقين ؛ فالمنافقون أخبر الله عنهم بـــأهم **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾**، [النور: ١٩]؛ لذا لا غرابة أن يقلبوا الموازين ، ويخلطوا المفاهيم ، ويجعلـــوا الفاحشة رقياً وتقدماً ، وحضارة ومجداً ويصفوا الغـــيرة وحفـــظ الأعراض بالجمود والقيود والأغلال ، وإنما الحديث لأهل الإيمـــان والفطر السوية ، التي ترفض الفاحشة ، وتأبى الانحلال ، لكن فعلها إلى استقبال خبيث الفضاء تقليد على غير هـــدى في غفلـــة مـــع الغافلين.

كانوا يظنون أن الأمر سهل ويسير ، وفيه متعة وتسلية للأولاد ، أما وقد بان لهم أمرها ، وظهر أمامهم خبثها ونتنها ، فهل مـــن عودة إلى الحق، ورجعة إلى الله تعالى ، وتوبة وإنابة تقود إلى تنظيف البيوت الآمنة من أسلحة غزاة الفساد والفاحشة ، حماية للأعراض ، وغيرة على المحارم؟ هذا هو الظن بهم؛ أن يستجيبوا لله ولرســـوله ، ويقطعوا طرق الشيطان والفاحشة ، والله تعالى يناديهم فيقول عـــز مِن قائل: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَـــنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾**، [النـــور: ٢١].

فما أقوى نفوسهم إن تغلبت على الهوى والشـــيطان، ومـــا أضعفها وأعجزها وأجبنها إن استمرت في غَيِّها، «والمؤمن القـــوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف».

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظ بيوتنا من الفساد والانحلال، وقلوبنا من الزيغ والضلال ، وأن يمن علينا بهداه ، ويجعل عملنا في رضاه ، ويهدينا صراطه المستقيم ، ويجنبنا طريق الشيطان وأعوانه؛ إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبـــارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الرياض/ ص ب: ٢٣١٢٥٢

الرمز البريدي: ١١٣٢١